مفتاحُ السّرَائر

محمد رسول الله

اللهم صل وسلم على محمد وآل محمد

تأليف

الإمام الفخر شيخ أبي بكر بن سالم بن عبد الله

الحسيني الحضرمي

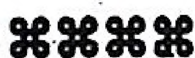
تَرْجَمَةُ

الإِمَامِ الفَخْرِ الشَيْخِ اَبِي بَكْرِ بنْ سَالِمِ

بِقَلَمِ حَفِيْدِهِ رَاجِي عَفْوَ رَبِّهِ اْلغَنِيِّ

عَبْد اللهِ بنْ أَحْمَدَ بنْ عَبْداللهِ اْلهَدَّار اْلعَلَوِي اْلحُسَيْنِي اْلحَضْرَمِي

هُوَ شَيْخُ اْلإِسْلاَمِ , وَقُدْوَةُ اْلأَنَامِ , إِمَامُ اْلعُلَمَاء , وَ حلية الأَوْلِيَاء , فَرِيْدُ عَصْرِهِ , وَوَحِيْدُ دَهْرِهِ , الدَّاعِي إِلَى اللهِ تَعَالَى بِحَالِهِ , وَ اْلمُرْشِدُ لِلْحَقِّ بِمَقَالِه , مَنْ أَذْعَنَ لَهُ بِالسَّبْقِ أَسَاطِيْنُ اْلعِلْمِ فِيْ زَمَانِهِ , وَجَدَّدَ مَآثِرَ سَلَفِه الصَّالِحِ فِي أَوَانِه , سَلِيْلُ اْلحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ , وَ فَرْعُ الدَّوْحَةِ اْلعَلَوِيَّةِ , اْلعَالِمُ الرَّبَّانِي , اْلإِمَامُ فَخْرُ الدِّيْنِ , (أَبُوْ بَكْرِ بِنْ سَالِم اْلعَلَوِيّ) رضي الله عنه وَأَرْضَاهُ.



وُلِدَ بِمَدِيْنَة (تَرِيْم الغَنَّاء) إِحْدَى البِلاَدِ اْلحَضْرَمِي , فِيْ الثَّالِثِ عَشَرَ مِنْ جُمَادى الثَّانِية سنة ٩١٩هـ وَ نَشَأَ بِهَا نَشْأَةً صَالِحَةً مَرْضِيَّةً عَلَى سُنَنِ أَسْلاَفِه الأَطْهَار, فَحَفِظَ بِهَا القُرْآنِ الكَرِيْمِ. وَ أَخْبَرَ الثِّقَاتُ: أَنَّه لَمَّا اسْتَعْصَى عَلَيْهِ اْلحِفْظُ أَوَّلَ اْلأَمْرِ, شَكَا وَالِدُهُ أَمْرَه إِلَى الشَّيْخ اْلإمام (شِهَابِ الدين بن عَبْد الرحمن ابْنِ الشَّيْخِ عَلِي) فَقَالَ لَهُ: دَعْهُ فَسَيُقْبِلُ عليه بِنَفْسِهِ و يَكُون لَهُ شَأْنٌ عَظِيْمٌ. فكان كَمَا قال. وَ أَقْبَلَ عليه بِنَفْسِهِ حَتَى خَتَمَهُ فِي أَقْصَرِ مُدَّة. ثُمَّ اشْتَغَلَ بِتَلَقِّي اْلعُلُوم العَرَبِيَّة وَ الدِّينية عَن أكابر عُلمائها بِعَزِيْمة قَوِيَّة , و صَفَاء رُوح وَصِدْق نِيَّة , تُوَاتِيْه فِي ذَلِك قَرِيْحَة و قَادَة وَرُوْح وَثَّابَة. فَبَدَتْ أَعْلاَمَ نَجَابته ودَلاَئِل فِطَانَته وَ بَشَائِر زَعَامَته فَأَكَبَّ -كَمَا قَالَ الشِلِّي فِي اْلمَشْرَعِ الرَّوِي- على كتبها وَاْجتَهَدَ فِي تَحْصِيْلِهَا,وَ حِفظ أُصُوْلِهَا وَفُرُوْعِهَا,حَتَّى أَخَذَ مِنْ سَائِرِ اْلعُلُوْمِ بِأَوْفَرِ حَظٍّ, جَامِعًا بَيْنَ فَهْمٍ وَ تَحْقِيق,وَحِفظٍ وَ تَدْقِيق, مُقَدَّمًا فِي العُلُومِ الشَّرْعِيَّة فَارِسًا فِي اْلعُلُوم اْلعَرَبِيَّة بَارِعًا مُتْقِنًا فِي سَائِرِ اْلعُلُوم.

وَ نَبَغ فيها جَميعها نُبوغًا مَشهُودًا,ظَهَرَت آثارُه فِي دَعْوَتِه إِلَى الله تعالى و إِرْشَاد العِبَاد إلى السُّلُوك الطَّرِيْق السَّدَاد.

شُيُوخُه:

وَ مِمَّن تَلَقَى عَنْهم :السَّيِّد عمر بَاشَيْبَان بَاعَلَوي,و الفَقيه الصَّالح عبد الله بِن مُحَمَّد باسَهْل بَاقُشَير,والفقيه عُمَر بن عَبد الله بَامَخرَمَة قَرَأ عَلَيْه الرِّسَالة الْقُشَيْرِيَّة,و الشَّيْخ مَعْرُوف بِن عبْد الله بَاجَمَّال الشِّبَامِي ثُمَّ الدَّوْعَنِي .

هجْرَتُهُ منْ (تريم) :

ثُمَّ بَدَا لَهُ أنْ يَرْتَحِل مِنْ تَرِيْم إلى بَلْدَة أُخرَى يُحْيِي دارِسها و يُجَدِّد مَعَالمها,ويُقِيْم دَعْوَته فِي رُبُوعهَا فَقَصَدَ إِلَى بَلْدَة عِينَات وَهِي مِن بلْدَان حَضرَمَوْت,عَلى نِصْف الْمَرْحَلة مِن تَرِيْم اختَطَّهَا(آل كَثِير سَنَة ٩٢٩هـ) ثُمَّ صَوَّح نَبْتها وَعَفَى أثَرها فَاتَّخذَهَا لَهُ مَهْجَرًا وَأحياهَا بِالعِلْمِ ,وانْتَصَبَ فِيهَا لِلتَّرْبِيَة وَ التَّعْلِيْم وَالإِرْشَاد.وَ أَسَّسَ فِيْهَا مَسْجِدَه الْعَظِيْم,وَاختَطَّ فِيْهَا مَقْبَرَة وَاسِعَة.فَرَحَل إِلَيْه النَّاس مِنْ أَقَاصِي الْبِلَادِ لِإنْتِفَاعِ بِهِ,وَالتَّلَقِّي عَنْه وَالإِسْتِفَادَة مِنْه , وَازْدَحَمَ فِيهَا تَلَامِيْذُه .وَمُرِيْدُه مِنْ كُلِّ صَوْب : مِنْ حَضرَمَوْت, وَالْيَمَن , وَالشَّام, وَالْهِنْد , وَالسِّنْد, وَمِصْر , وَ السَّوَاحِل, وَ الْعَدَن, وَالشِّحْر , وَالْمشقَاص.

وَ كُلُّهُم حَوْلَهُ يَنْهَلُوْنَ مِنْ مَعِينِ فَضْله وَيَرتَوُوْنَ مِنْ فَيْضِ عِلْمه حَتَّى ازْدَهَرَت بِهِم (عِينَات) الْقَدِيْمَة,وَأَصْبَحَت عَامِرَة آهِلَة , تُبَاهِي بِحَاضِرِها, وَ تُفَاخِر بِشَيْخِهَا الْإِمَام الَّذي بِه عُرِفَت , وَبِفَضْلِه اشتَهَرَتْ , و كَانَت مِنْ قَبْلِ نَسْيًا مَنْسِيًا.

و فِيْهَا يَقُولُ الْأَمِير مُحَمَّد بنْ عَلِيِّ بنْ جَعْفَر الْكَثِيرِي:

إِنْ جِئْتَ عِيـنَات فَحَـيِّ ثَـرَاهَا   واسْتَـنْشِق الْعِرْفَـان مِنْ رِباهَا
وَ الْصِق جَبِـيْـنَك بِالتُّـرَاب مُقَبِّلاً   شُـكْرًا لِـمَنْ أوْلاكَ لَـثم ثَـرَاهَا

بَلَـد أَقَـــامَ بِهَـــا الكمال وَ حَبَّذَا بَلَد غَدَا الغَــوْث العَظِـيْم حمَــاهَا
وَ استَــقْبِل الشَّيْخَ المُــعَظَّم خَاشِــعًا فِي ذُلّ نَفس كَـــيْ تَــنَــال مُنَاها

أَخلاَقُه وَ مَكَارِمُه:

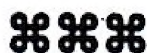
و كَانَ رَضِيَ الله عنه مُضِيْفًا كَرِيْمًا , جَوَّادًا سَخِيًّا , يُنْفِقُ نَفَقَةَ مَنْ لاَ يَخْشَى الفَقْرَ, فَكَان يَنْحَر مِن الإِبِل الوَاحِد وَالإِثْنَيْن لِزَائِرِيْه إِذَا كَثُرُوا لَدَيْه , وَمَا أَكْثَرَ ازْدِحَامِهِم بَرَحًا بِه الفَسِيْح؟!

وَكَانَ يُبَالِغ فِي العِنَايَة بِأَضْيَافِه وَرِعَايَة شُؤُوْنِهِم بِنَفْسِه , يَتَصَدَّق كُلَّ يَوْم وَلَيْلَة بِنَحْوِ أَلْفَ قَرْص خُبْز عَلَى الفُقَرَاء وَ مَعَ كَوْنِه أَنْدَى النَّاس يَدًا, وَ أَكْثَرَهُمْ بَذْلاً, كَانَ أَوْسَعَهُم خُلُقًا, وَأَفْسَحَهُم صَدْرًا, وَأَطْيَبَهُمْ معشرًا, وَأَكْثَرَهُمْ تَوَاضُعًا فَلَمْ يُرَ فِي جُلُوْسِه مُتَّكِئًا ولاَ مُتَرَبِّعًا!!

قَالَ الشَّيْخ الفَقِيْه عَبْدُ الرَّحْمَن بِنْ أَحْمَد بَاوَزِيْر : إِنَّ الشَّيْخ أَبَا بَكْرٍ مَكَثَ خَمْسَ عَشَرَ سَنَةً آخر عُمْرِه لَمْ يَجْلِس فِي جَمِيْع مَجْلِسِه إِلاَّ مَجْلِسَ التَّوَرُّك لِلصَّلاَة فِي كُلِّ أَوْقَاتِه مَعَ الخَاصَّة وَ العَامَّة !!



وَ كَانَ عَظِيْمُ العِنَايَة بِالغُرَبَاء , وَ الشَّفَقَة وَالعَطْف عَلَى الضُّعَفَاء , وَ البِرّ وَالمُوَاسَاة لِلبُؤسَاء, يُرَاعِيْهِم بِنَفْسِه وَ يُجْبِرُ خَوَاطِرَهُم , وَيَقُوْمُ بِحُقُوْقِهِم وَ مَصَالِحهِم..



وَكَانَ مِنْ ثَمَرَات هَذه الأَخْلاَق النَّبَوِيَّة : شِدَّةُ مَحَبَّة النَّاس لَهُ , وَإِقْبَالُهُم عَلَيْه , وَذُيُوْع إِسْمُه فِي الآفَاقِ : فَكَان يَفِدُ إِلَيْه مِنْ غَيْر تَلاَمِيْذه وَمُرِيْدِيْه خَلْقٌ كَثِيْرٌ مِنْ جِهَات

مُختَلفَة : شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَامًا وَ يَمَنًا وَعَرَبًا وعَجَمًا, وَكُلُّهُم يُقِيم مُكَرَّمًا, وَيَنْصَرِفُ مُعَظَّمًا.

عِبَادَتُهُ وَ دِرَاسَاتُه:

وَكَان كَثِيرَ الْعِبَادَة و الرِّيَاضَة . مَكَثَ مُدَّة يَصُوْم وَلاَ يُفْطِرُ إلاَّ عَلَى الْبسْر الأَخضَر مِنْ جهمية لَهُ بِاللسك وَرِثَهَا مِنْ أَبِيْه , وَ قَالَ : إِنَّهَا أَحَلُّ مَالِه.وَمَكَثَ فِي (يَنْحر) - شِعْب مِن الشِّعَاب - تِسْعِيْن يَوْمًا صَائِمًا قَائِمًا وَلَبِثَ نَحْوَ أَرْبَعِيْنَ سَنَةً يُصَلِّي الصُّبْحَ بِوُضُوء الْعِشَاء فِي مَسْجِد بَاعِيْسَى بِاللِّسْك , وَيَصْعَدُ كُلَّ ليلة لِزِيَارة مَقْبَرَة تَرِيْم وَ يُصَلِّي فِي مَسْجِدِهَا, وَيَحْضُرُ الصَّلاةَ الْجَمَاعة صُبْحًا فِي بَاعِيْسَى وَ فِي آخرِ عُمْرِه لَمْ يَتْرك صَلاة الضُّحَى وَ الْوِتْر عَلَى الْكَمَال.

وَ كَان مُلاَزِمًا لأَوْرَاد الطَّرِيقة . وَ لَهُ دَعَوَات وَ صَلَوَات , وَوِرْد كَبِيْر سَمَّاه (حِزْب الْحَمْد وَالْمَجْد) أَمْلاَهُ قَبْلَ الْفَجْر فِي مَجْلس وَاحِد , وَهُو آخر مُصَنَّف تَلَقَّاه عَنْه تِلْمِيذُه الْعَلاَّمَة الفَقِيه الشَّيْخ مُحَمَّد بن عَبْد الرَّحمن بَاوَزِيْر فِي الثَّامِن مِن شَهْر الْمُحَرَّم سَنَة ٩٩٢هـ.

وكَانَ يَزُوْر كَثِيرًا قَبْرَ نَبِي الله هُود عليه السَّلام , حَتَّى بَلَغَتْ زِيَارَاتُه الْمَشْهُوْرَة لَهُ أَرْبَعِيْنَ مَرَّة كَمَا أَخبَر بِذلكَ الْفَقِيه مُحَمَّد بن سِرَاج الدِّين .

و كَانَ يَسْرِي كُلَّ لَيْلَة مِنَ اللسك إلَى تَرِيم يُصَلِّي فِي مَسَاجِدِها , وَ يَمْلأُ الْحَوَابِي لِلْوضوء والسِّقَايَات لِشُرْبِ الصَّادِرِيْن وَ الْوَارِدِيْن , وَ الْحِياض لِشُرْبِ الدوَابِ نَحْو أَرْبَعين سَنَةً.

وكَانَتْ لَهُ دِرَاسَات عِلْمِيَّه كَثِيْرَة , حَتَّى إِنَّه قَرَأَ الإِحياء لِحُجَّة الإِسْلام الغَزَالى نَحْو أَرْبَعِين مَرَّة . وَقَرَأَ الْمِنْهَاج فِي فِقْه الشَّافِعِيَّة لِلإِمَام النَّوَوِي ثلاث مرَّات قِرَاءة تَحْقِيق. وكَان لاَ يُقْرِئ تَلاَمِيْذَهُ فِي الْفِقْه إلاَّ الْمِنهاج. وكَان مِنْ عَادَتِه بَعْدَ صَلاة الْجُمْعَة أَنْ يُذَكِّر النَّاس . وَقَرَأَ الرِّسَالَة الْقُشَيْرِيَّة عَلَى شَيْخِهِ السَّيِّد عُمَر بِنْ عَبْد الله بَامَخْرَمَة .

مُؤَلَّفَاتُهُ:

وَمِنْ مُؤَلَّفَاتِهِ:(مِفْتَاح السَّرَائِر وَكَنْــز الذَّخَائِر) أَلَّفَهُ فِي سِنٍّ مُبَكِّرَة لَمْ يُجَاوِز فِيهَا السَّابِعَة عَشْرَةَ مِنْ عُمْرِه وَهُوَ الْمَطْبُوع هُنَا. وَ (مِعْرَاج الْأَرْوَاح) - فِي عِلْمِ الحقيقة - ابْتَدَأَهُ فِي رمضان سنة٩٨٧هـ وأَكْمَلَهُ فِي٩٨٩ هـ.

وَ كِتَاب (فَتْح بَاب الْمَوَاهِب) -فِي عِلْمِ الحقيقة - ابتداه في شوّال سَنَة ٩٩١هـ وَ خَتَمَهُ فِي التَّاسِعِ مِنْ ذي الْحِجَّة مِنَ السَّنَة الْمَذْكُورَة .

وكتاب (مَعَارِج التَّوْحِيْد). وَدِيْوَان ضَخْم , أَنْشَأَهُ فِي أَوَّلِ سُلُوكِه.

كَلِمَاتُهُ وَعِظَاتُهُ:

وَلَهُ دُرَرٌ مُنْتَثِرَة , وَ كَلِمَات مَأْثُورَة مُشْتَهِرَة مِنْهَا :

(قَوْلُهُ) : أَرْبَحُ أَوْقَاتِكَ : وَقْت تَفْنَى فِيه نَفْسك , وَأَخسَر أَوْقَاتِكَ : وَقْتُ تُوجَدُ فِيْه نَفْسُك . وَاعْلَمْ أَيُّهَا الْعَبْد : أَنَّك لَا تَصِل إِلَى الله تعالى إِلاَّ بَعْدَ فَنَاء نَفْسِك , وَمَحْوِ حِسِّك. وَمَنْ عَرَفَ نَفْسَه لَا يَرَى غَيْرَ الله, وَمَن لَمْ يَعْرِف نفسه لا يَرَى الله تعالى. وَ كُلُّ إِنَاء يَرْشَح بِمَا فِيْه .

(قوله) : في الحَثّ على المجاهدة والحِفْظ الْأَوْقَات : (مَنْ لَمْ يُجَاهِد فِي الْبِدَايَات مَايَصِل إِلى النِّهَايات , ومن لم يجاهد لَمْ يُشَاهِد , قال الله تعالى: و الَّذِيْن جَاهَدُوا فِينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنَا , وَ من لَمْ يُحَافِظ عَلَى الْأَوْقَات لَمْ يَسْلَم مِنَ الْآفَات. وَمَنْ وَقَعَ فِي الزَّلَّات اسْتَحَقَّ التَّبِعَات .

(قوله): في فَضِيْلَة الصُّحْبَة : مَنْ جَالَسَ الْأَخيَار حَظَى بِالْمَعَارِف و الأَسْرَار , و من جالسَ الْأَشْرَار استحَقَّ الْعَار و النَّار .

(قوله): مُفَسِّرًا قَوْل الرَّسُوْل صَلَّى الله عليه و سلّم : (لَسْتُ كَأَحَدكُمْ إِنَّما أَظِلّ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي و يَسْقِيْنِي) أي طَعَام و شَرَاب الْمَعَانِي مِنْ فَيْضِ حَضْرَة الْقُدُس .

(قوله): لَنْ تَنَالَ الْحَقَائِق إِلاَّ بِتَرْكِ الْعَلاَئِق , وَفِي الْقَنَاعَة الرَّاحَةُ وَ السَّلاَمَة , وَ فِي الطَّمَع الذُّلُّ وَالنَّدَامَة . وَ الْعَارِف يَنْظُر إِلَى عُيُوب نَفْسِه , وَ الْغَافِل يَنْظُر إِلَى عُيُوب الْخَلْق. وَمَنْ صَمَتَ سَلِم وَ مَنْ تَكَلَّمَ نَدِمَ .

(قوله): أَعْدِمْ وُجُودَكَ فِي وُجُودِه , وَامْحُ شُهُودَكَ فِي شُهُودِه , وَاسْتَعِدَّ لِمَوْعُودِه . وَخُذْ مِنَ الْعِلْم مَانَفَع إِنْ كُنْتَ لِكَلاَمِي تَسْمَع . وافْهَمْ ذَلِك تَجِدْهُ وَاضِحًا إِنْ شَاء الله تَعَالَى..!!

وَاعْلَم أَنَّ الله تَجَلَّى عَلَى قُلُوب أَوْلِيَائِه الْعَارِفِين ؛ لأَنَّهُم فَنَوا عَمَّا سِوَاه , وَ غَابُوا عَنْ رُؤْيَة الأَكْوَان بِمُكَوِّن الأَكْوَان , وَ أَصْبَحوا و أَمْسَوا طَائِعِين سَالِكِين , راجِين خَائِفِين , راكِعِين سَاجِدِين , فَرِحِين مُسْتَبْشِرِين , رَاضِين بِالْقَضَاء و الْقَدَر,لَمْ يَخْتَارُوا إِلاَّ مَااخْتَارَهُ لَهُمْ مَوْلاَهُم .

(قوله): السَّعِيد مَنْ أَسْعَدَهُ الله بِلاَ عِلَّة , وَالشَّقِي مَنْ أَشْقَاه الله بِلاَ عِلَّة . هذَا كَلاَم الحَقِيقَة .

و أَمَّا كَلاَم الشَّرِيعَة : فالسَّعِيد مَنْ أَسْعَدَهُ الله بِالأَعْمَال الصَّالِحَة , وَالشَّقِي مَنْ أَشْقَاه الله بِتَرْك الأَعْمَال الصَّالِحَة وهَتْك الشَّرِيعَة الْعَامِرة . نَسْأَل الله الْعَفْوَ وَ الْعَافِيَة..!!

(قوله): الشَّقِي مَن اتَّبَعَ نَفْسَه وهَوَاه والسَّعِيد مَن خَالَف نَفْسَه وَهَوَاه وَ رَحِلَ عَنِ الْكَوْن إِلى رَبِّه , وَ أَصْبَحَ وَ أَمْسَى مُتَابِعًا لِسُنَّة محمد صلى الله عليه و سلم .

(قوله): عَلَيْك بِالتَّوَاضُع وَالْخُمُول , واحْذَر مِنَ التَّكَبُّر والرِّيَاسَة .

(قوله): فَلاَحُكَ فِي سَخَطِك على نَفْسِك وهَلاَكُك فِي رِضَاك عن نَفْسِك , فَكُنْ سَاخِطًا عَلَيْهَا , لاَ رَاضِيًا عنها تَظْفَرْ بالوطرِ إِنْ شَاء الله. وَ الْعَارِف مَنْ عَرَف نَفْسَه, والْجَاهِل مَنْ جَهِلَ نَفْسَه, مَا أَسْهَل عَلَى الْعَارِفِين بالله مِنْ إِرْشَاد الجَاهِل وَ قَدْ تُكْسَبُ السَّعَادة الأَبَدِيَّة بِنَظْرَة ,ومَا سُتِرَت الْحَقَائِق عَنِ الْقُلُوب إِلاَّ بِالنَّظَر إِلى السِّوَى وَ الْكَائِنَات فَهِيَ الْحِجَاب , وَ إِلاَّ فَالْحَقَائِق جَلِيَّة مَا عَلَيْهَا حِجَاب , وارْضَ بِمَا أَقَامَكَ الله فيه , قال بَعْضُهُم : لِي مُدَّة أَرْبَعِين سَنَة مَا أَقَامَنِي الله تَعَالى فِي شَيْءٍ فَكَرِهْتُه.

(قوله): وَفَّقَكَ اللهُ لِمَا يُحِبُّ وَ يَرْضَى : كُنْ فِي مَقَامِ التَّسْلِيمِ للهِ سُبْحَانَه , وَ الْزَمِ الْأَدَبَ فِي الإتِّبَاعِ لِرَسُولِه صلى الله عليه و سلم فِيمَا أَمَرَ بِهِ وَ نَهَى عَنْه . وَ أَحْسِنِ الظَّنَّ فِي عِبَادِ الله , فَإِنَّ سُوءَ الظَّنِّ مِنْ عَدَمِ التَّوْفِيقِ . وَ الْزَمِ الرِّضَا بِالْقَضَاء , وَ إِنْ عَظُمَتْ الْمُصِيبَة فَلاَ يَكُنْ مِنْكَ إِلاَّ الصَّبْرُ الْجَمِيلُ . قَالَ تَعَالَى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُون أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَاب) وَاتْرُك الْخَوْضَ فِيمَا لاَ يَعْنِيك , وَعَلَيْكَ بِخُوَيْصَةِ نَفْسِك .

(قوله): الدُّنْيَا بِنْتُ الآخِرَة , وَ مَنْ عَقَدَ عَلَى الْبِنْت حُرِّمَتْ عَلَيْهِ الأُمّ .

إلى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ كَلِمَاتِهِ الْحِسَانِ الْمَأْثُورَة رَضِيَ اللهُ عَنْه .

مَنَاقِبه:

أَمَّا مَنَاقِبه فَكَثِيرَة مَشْهُورَة, أَفْرَدَهَا بِالتَّأْلِيف كِبَارُ الْعُلَمَاء ، مِنها :

(بُلُوغُ الظَّفَرِ وَ الْمَغَانِمِ فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخِ أَبِي بَكْر بنْ سَالِم) لِلْعَلاَّمَة الشَّيْخ مُحَمَّد بن سِرَاجِ الدِّين .

(وكتاب الزَّهْر الْبَاسِم فِي رِبَا الْجَنَّات , فِي مَنَاقِبِ الشَّيْخ أَبِي بَكْر بن سَالِم صَاحِب عِينَات) للعلامة الشَّيْخ عَبْد الله بنْ أَبِي بَكْر بن أَحْمَد بَاشُعَيْب، وَ حَدَّثَنَا السَّيِّد الْمُسْنِد صَدْرُ الدِّين الشَّهِير سَالِم بن أَحْمَد بن جِنْدَان الْعَلَوِي أَنَّ لَدَيْه مَنَاقِب خَطِّيَّة لِلْمُتَرْجَم مِنْهَا :

(بُغْيَة أَهْل الإِنْصَاف بِمَنَاقِب الشَّيْخ أَبِي بَكْر بنْ سَالِم بن عَبْدُ الله السَّقَّاف) للعلامة مُحَمَّد بن عمر بن صالح بن عبد الرحمن بَارَجَا الْخَطِيب .

(و كتاب ذِكْرَى الْحَبِيب فِي مَنَاقِب مَوْلَى الْكَثِيب) لِلْعَلامة السَّيِّد عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن الْبَيْضِي الْعَلَوِي .

(وكتاب أُنْس الرَّاغِبِين فِي تَرْجَمَة قُطْب الْوَاصِلِين) للعلامة الشَّيْخ أَحْمَد بن عبد الله بن سَهْل الْكِنْدِي .

(و كتاب بُرْد الْأكْبَاد فِي مناقب قُطْب الْأوْتَاد) للعلامة السيد عُمَر بن عبد الرَّحِيم بن عبد الله بن عَبْد الْعَزِيْز بن عَلِي الْبُصْرى المكّي الشافعي .

(وكتاب النَّهْر الْمَوْرُوْد فِي مناقب الشيخ أبِي بكر فَخْر الوُجُوْد) للعلامة الْمُرْشِد الْكَبِير السيد الْحَسَن بِنْ إِسْمَاعِيل الْحَامِد .

(و كِتَاب اللَّوَامِع الْبَيِّنَات فِي مَنَاقِب مَوْلَى عِيْنَات) لِلعَلاَّمَة الكبير الإِمَام عمر بن عبد الله بن شَيْخَان بِنْ الشَّيخ أبِي بكر بن سالم .

(وكتاب بُغْيَة أهْل الْمَغَانم , فِي أخْبَار الشَّيْخ ابي بكر بن سالم) للعلامة محمد بن أحمد بن عَنْقَاء التِّهَامِي الْحُسَيْنِي .

(وكتاب الْجَوَاهِر وَ الدُّرَر , فِي تَرْجَمَة الشَّيْخ أبِي بكر) للعلامة أحمد بن عبد الله السَّودى.

(و كتاب السَّيْل الْجِرَاف فِي مَنَاقِب سَيد الْأشْرَاف) للعلامة الشيخ أحمد عَتِيْق الْحَضْرَمِي الكندي .

(وكتاب بُلُوغ الْمُرَاد , فِي مَجْموع الْأذْكار و الْأوْرَاد) لِلعلامة السيد عُمَر بن عِيْسَى بارَكْوَة الْحُسَيْنِي السمرقندي .

(و كتاب مَنْهَل الْمَوَارِد,فِي الْأَسَانِيد والشَّوَارد) للعلامة الفقية عبد الله قدري باشعيب.

(وكتاب الْمَجْد والسَّعَادة , في تَحْبِيْر تَرَاجم السَّادة) للعلامة الشيخ رِضْوَان بن أحمد بَارَضوان بَافَضَل .

(و كتاب الْحُلَل السُّنْدُسِيَّة فِي الْخِرْقَة الْفَخْرِيَّة) للسيد الدَّاعِية الْإِسْلاَمِي سالم بن أحمد بن جِنْدَان .

(وَ كتاب شَذَى الأزْهَار , فِي سِلْسِلة الْفَخْرِيَّة والأوراد و الأذكار) للعلامة الشيخ محمد بن أبي بَكْر بَانَافع .

(و كتاب المِنْهَاج الْقَوِيم , فِي الْكَيْفِيَة التَّحْكِيم) السَّيد عبد الله بن عمر بن يوسف بن عابد الحُسيني .

(و كتاب حَدِيْقَة الْوَارِدِين فِي ذِكْر الْهَدَايا وَ الْمُرَاسَلَات ووفَادَة السَّلَاطِين) للفقية المفتي الشيخ مهنا بن عَلِي بن منصور بَامَزْروع الْقَنْــزَلِي الكندي .

(وكتاب الشُمْس الشَارِقة,فِي الْكَرَمَات الْخَارِقَة) للعلامة الشيخ عبد الله بن عبد المانع بانافع.

(وكتاب فَيْض الجُوْد , فِي سِيْرة فَخْر الْوُجُود) للشيخ حسن بن أحمد با شعيب .

(وكتاب قُطْف الثَمَر , فِي حَيَاة الشَّيْخ أبِي بَكر) للسيد الْمُسْنِد سالم بن أحمد بن حنذان .

(وكتاب شَرَف الدَّائِم فِي مَنَاقِب الشَّيْخ أبِي بَكْر بن سالم) للعلامة السَّيد عَلِي بن عيدروس بن سَالم بن الشيخ ابي بكر بن سالم .

(وكتاب ذِكْرَى الْحَبِيْب , فِي مَنَاقِب مَوْلَى الْكَثِيْب) للسيد العلامة سالم بن حسن بن عمر الحامد .

و قَد تَرْجَم لَهُ الْكثِير مِنَ الْأَكَابِر فِي كُتُبهم : (كَالنُّور السَّافِر) , (و الدُّرَر الفَاخِــرة) , (والْمَشْرَع الرَّوِي) , (فَيْض الأَسْرَار) , (وبَهْجَة النَّاظِرِين) , (وبُشْــرَى الكريم فِي ذِكْر أوْلِيَاء تَرِيم) هَذا مَانَقَلْــنَاه عَن السَّيد الْمُسْنِد البَحَّاثة ((سالم بن أحمــد بن حنذان)) . وعن (كِتَاب الجَوَاهِر الثَّمِيْن , فِي مناقب الْمُدَرِّسِيْن) بعينات .

أقْوَالُ الْأَئِمَة الْعَارِفِين فِي الْمُتَرْجَم:

أثْنَى عَلَيْه وَوَصفه بالإجتِهَاد شَيْخُ الإِسْلَام و قطبُ الدَّعْوَة والإِرْشَاد الحَبِيْب عَبْد الله الحداد.

وامْتَدَحَه و أثْنى عَلَيه الشَّيْخ الْفَقِيْه عبْدالقَادِر بِنْ أحمد المَالِكِي صَاحِب الرَّوْضة بِحبَّان. و لَهُ فِيْه رِسَالَة بَلِيْغَة تُسَمَّى (مِشْكَاة الأنْوَار، وَ مُظْهِر الأسْرَار فِي أوْصَاف قُطْب الأخْيَار فَخْر الدِّيْن أبِي بَكْر بن سَالِم).

و الشَّيْخ عبد القادر بن أحمد المكِّي الفَاكهي، الكَاتِب الكَبِيْر، و الشَّاعِر البَلِيْغ. وَلَهُ فِي مَدْحِه رِسَالَة بَدِيْعَة.

وامْتَدَحَهُ الْفَقِيْه الأدِيْب الكَامِل عَلِي بن محمد سحاب المكِّي. بمقامة سمَّاها (تُحْفَة المَغَانِم و خُلَاصَة الْمَكَارِم فِي مَدْحِ الشَّيْخ أبِي بكر بن سالم) وَ لَهُ رَسَائِل أخْرَى إلَى سَيِّدِنَا الشَّيْخ أبِي بَكْر.

قَالَ الإمام الشَّيْخ عبد الله بن أبي بكر باشعيب: وَمِنْ أعْجَب الْعُجَب رِسَالَتُهُ الْعَظِيْمَة الْمُسَمَّاة (نَفَحَات رَوَائِح الأنْس وَ لَوَائِح نَفَائِح حَظَائِر الْقُدْس) الْمُشْتَمِلَة عَلَى ثَلَاث مَقَامَات غَرِيْبَات: الأوْلَى عَلَى لِسَان خَطِيْب الْفُقَهَاء. والثَّانِيَة عَلَى لِسَان خَطِيْب الْمُحَدِّثِيْن. و الثَّالث على لِسَان خَطِيْب أهْل الْعُلُوْم الأدبيَّة.

وامْتَدَحَه الأدِيْب الشَّيْخ عمر بن إبرهيم الحبَّاني. والفَقِيْه العَلامة أحْمَد الشبلي المكِّي بِمَقَامَة تُسَمَّى(الرَّحَابِيَّة)

وأشَار به الشَّيْخ العلامة علي بن علي السمهودي المكِّي الْمَدَنِي بِقَصِيْدَة عَصْمَاء. وأثْنَى عَلَيْه العَبَاقِرَة مِن العُلَمَاء و الحُكَمَاء والأدباء نَثْرًا وَ نَظْمًا.وَ مِنْهُم السَّيد الشَّرِيْف عبد الرحمن بن أحمد البيضي باعلوي الشحري.

بشائر الفَتْح الربَّاني على المترجَم:

و مِمَّن بَشَّر به قَبْل ظُهورِه،ثُمَّ قبْل تَرَعْرُعِه واشْتِهَارِه -مِنْ طَرِيْق الإلْهَام الربَّاني والْكَشْف الْفَيْضي- : العَارِف بالله السَّيد أحْمَد بِنْ عَلَوِي. وَالإمَام القُطْب الشهِير أبو بَكْر بِنْ عَبْد الله الْعَيْدَرُوس.وسيدنا مُحَمَّد جَمَل اللَّيْل.

وَفَاتُه رضي الله عنه:

وقَدْ انتَقَل رَضِي الله عنه إلى رَحْمَة رَبِّه لَيْلَة الأحَد لِثلاث بَقِيْن مِن ذُو الحِجَّة سَنَة ٩٩٢هـ ودُفِنَ بِعيْنَات، وَ لَهُ بِهَا قُبّة عَظِيْمَة ,وَرَثَاهُ جَهابِذَةُ العُلَماء، و مَصَاقِعُ البلغاء مِن الأدباء نَظْمًا و نَثْرًا. قَالَ العَلامة المُؤرِّخ عبد الله بن محمد بن حامد بن السقاف في(تَارِيْخ الشُّعَرَاء الحَضْرَمِيِّيْن): وَ لاَ تَسْأَلْنِي عَنْ كَثْرَةِ المراثي الّتي رثي بِهَا، فَإنِّي لاَ أَسْتَطِيْع لَهَا عدًا اهـ.

وَ مِمَّن رثاه العلامة عمر بن إبراهيم الحبَّاني بِقَصِيْدة طَوِيْلَة ,مِنْهَا:

رزء ألـــم فـــفـــتت الأكـــبـــادا ... و أهـــال أطـــواد الـــمهاد رمادا.
و تـــشقـــقت منـــه القلوب تفجعا ... و تحـــلـــلت شـــمس النهـــار سوادا
وارتـــج وجـــه الأرض لما أن دهى ... ما قد دهى من عـــظـــم ذاك ومـــادا
و غـــــدا فأوقـــد محرقًا نار الأسى ... لـــمـــا في قـــلـــب كل موحد إيقـــادا
لما نعى النـــاعـــي بأعـــلى صوتـــه ... قد غص من فيـــض الدمـــوع و نادا
ان الإمـــام القطب فخـــر الدين من ... شاعت فـــضائلـــه و ســـاد و جـــادا
قضى على هـــــدى البرية نحبـــــه ... بـــلطيـــف تـــربـــية لهـــا و أوفـــادا
و ســـــرى إليهـــــا سره توسلت ... بالســـر مـــنه أن تـــنـــال مـــرادا
فأنـــا لـــهـــا رب العـــلى ما أملت ... و لهـــا بـــه قـــد أنـــجـــز الـــميعادا
شيـــخ لـــــه في كـــل مجد رتبة ... علـــوية يـــســـمـــو بـــها إن جـــاد
شـــيخ لـــه التـــصريف فيما شاء ه ... مـــن أمـــره و أحـــبـــه و أرادا
شـــيخ رقا في ذروة التمكين فهــــ ... ــو يـــمـــد مـــن إمداده إمـــدادا
شـــيـــخ إذا أعـــددته لـــمـــلـــمـــة ... أبـــدى لـــصرف عظيمـــها استمدادا
شيـــخ إذا أحبـــبـــته نلـــت الـــمنى ... و الـــسول الـــمأمـــول و الإســـعادا
شـــيـــخ لـــــه نور مبين يهتدى ... بالـــعـــبـــر حـــاز الخير و الإرشـــادا

شيخ أبان الحق بعد خفائه — و غدا له في العالمين عمادا

شيخ عليه قلوب أهل الله عا — كفة صفاء خالصا ووادا

يا رحمة للعالين و كعبة — للقاصدين و مبدا رفادا

يا من له المجد الأثيل ومن به — يشفى العليل و للعلاج أجادا

يا من أفاض على القلوب معارفا — ووساوس الشيطان عنها ذادا

من ذا يقوم بحمل ما حملته — من ذا يقوم مقامك الآمادا

من ذا له نور ينور ظلمة — كشفت يضاهي نورك الوقادا

لهفي على من غيبته لحود — من بعد ما قد غيب الإلحادا

و هذه آخر ما تيسّر جَمْعُه مِنْ تَرَاجِم هَذه الإِمَام الْعَظِيم, و كان بَدْءُ ذلك بعينات غرّة صفر سنة ١٣٨٥هـ. و خِتَامُه بِمَكّة الْمُكَرَّمَة فِي ٩ جمادى الأولى من العام المذكور. و الحمد لله رب العالمين, و صلى الله على سيدنا محمد و على آله وصحبه أجمعين.

كَتَبَه

عبد الله بن أحمد بن عبد الله المدار

ابن الإمام السيد الحسين بن الفخر أبي بكر بن سالم

عفا الله عنه ولَطَف به

وَ يَلِيْهاَ:

رِسَالَة مِفْتَاح السَّرَئِر

أَلَّفَهَا

فِي السَّابِعَة عَشْرَ ة مِنْ عُمْرِه

وَهِيَ بَاكُوْرَة مُؤَلَّفَاتِه.

بسم الله الرحمن الرحيم

الْحَمْدُ لله الْوَاحِدِ الْقَهَّار, الْعَزِيْزِ الْغَفَّار, السَّتَّار الْجَبَّار (فَالِق الْإِصْبَاح,وجَاعِل اللَّيْل سَكَنًا , والشَّمْس و الْقَمَر حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيْرُ الْعَزِيْزِ الْعَلِيْم), هُوَ اللهُ لاَ إِلــَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيْم. عَالِم الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيْزِ الرَّحِيْم, الَّذِي رَفَعَ حِجَابَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَوْلِيَائه, فَشَاهَدُوه فِي كُلِّ شَيْءٍ بِعَيْنِ الْبَصِيْرَة, الَّتِي لاَ يَحْجُبها شَيء فَظَهَرَتْ مِنْهُمْ الْكَرَامَات الْخَارِقَة للعَادَات,نَفَعَ الله بِهِم آمِيْن.

سُبْحَانَ الله الْحَنَّان الْمَنَّان, الْكَرِيْم الرَّحْمَن الْمَعْرُوْف بِالْعَطَاء وَ الْإِحْسَان, مِنْ قَبْلِ أَنْ يُوْجِد الْخَلْقَ أَجْمَعِيْن, سُبْحَانَهُ مَاأَكْرَمَهُ مِنْ خَالِق, أَوْجَدَنَا مِنَ الْعَدَمِ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيْرًا وَنِسَاءً , وَخَلَقَ الْجَنَّة وَالنَّار, فَجَعَلَ الْجَنَّةَ مَأْوى لِلْمُؤْمِنِيْن, وَجَعَل النَّار مَثْوَى لِلْكَافِرِيْن.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْجَنَّة و نعوذ بك مِن النَّار, و مِن الحِرْمَانِ مِن ذَوْقِ الصالحين.

و أَشْهَدُ أن لاَ إله إلاَّ الله وَحْدَهُ لاَ شَرِيْكَ له لَهُ الْمُلْكُ ولَهُ الْحمد يُحْيِي وَ يُمِيْت وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيء قَدِيْر, وأشهد أنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه و رسولُه الْمُصْطَفَى, الَّذِي اخْتَارَهُ مِن الْعَرَب والْعَجَم مِنْ أَشْرَفِ الْقَبَائِل؛ صلَّى الله عليه و على آله و صحبه و سلَّم تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا.

اعْلَم وَفَّقنا الله وإيَّاكَ تَوْفِيْقَ الصَّالحين. عليك بالطَّاعة فإنَّها أَصْلُ النَّجَاة وَبِهَا يُحْصَل الفَوْزُ فِي الجنَان, عَلَيْكَ بِتَرْك الْمَعَاصِي صَغِيْرها وكَبِيْرِهَا فإنَّها أَصْلُ الْخُذْلاَن, وبِهَا يُحْصَل الْخُسْران, نسأل الله الكريمَ الغفرانَ, قال الله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لاَ يَسْتَوُوْن).

وَجَدِّد ثِيَابَ الإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَةِ واعْزِم عَلَى فِعْلِ الْخَيْرَاتِ فِي نَهَارِكَ و لَيْلِكَ فَإِنَّ المَقْتَ فِي تَأْخِيرِ الطَّاعَةِ وَ تَطْوِيلِ الأَمَلِ, وَ قَدْ جاء فِي بَعْضِ الأَخْبَارِ أَنَّ تَطْوِيلَ الأَمَلِ حَرَامٌ مَحْضٌ, وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ:

لاَ تُـرْجِ فِعْلَ الصَّـالِحَـاتِ إلى غدٍ لعـلَّ غـدًا يَأتِي وَ أنْت فِي اللَّحْـد

و قلت:

وَ تَبْلَى عِظَامُكَ فِي التُّرَابِ و تُبْتَلَى بِتَنْعِـيمِ رُوْحٍ أو عَـذَابٍ بِحُـفْرَة

وَ مَا أَحْسَنَ قَوْلَ أبي الرَبِيْعِ رضي الله عنه : سِيْرُوا إلى الله عُرجًا وَ مكَاسِير -إلى آخره.

باب في صفة الدُّنْيا وذَمِّها

و عليكَ يا أخي بِتَرْكِ الدُّنْيا ظَاهِرًا وبَاطِنًا فإنَّها رَأس كُلِّ خَطِيْئَةٍ, وأخْرِجْهَا مِن قَلْبِكَ فإنَّ حبَّها وحُبَّ الله لاَ يَجْتَمِعَان فِي قَلْبٍ وَاحِدٍ , كما لاَ يَجْتَمِعِ المَاءُ وَ النَّارُ فِي إناءٍ واحدٍ , وطَالِبهَا ذَلِيْل عِنْد الله و ذَلِيْل عِنْد الخَلْق, فإنَّها دارُ المَكْرِ و الخِدَاع, والهُمُوم مُتَعَلِّقَة بِمَنْ أَحَبَّها , فَأَرِح قَلْبَكَ بِتَرْكِهَا فإنَّ الزُّهْد فِي الدُّنْيا يُرِيْح القَلْب .

قَالت الأعْرَابِية لِزَوْجِها لمَّا رأتْهُ مَهْمُوْمًا: إنْ كان هَمُّكَ بالدُّنْيا فَإنَّه قَدْ فَرِغَ مِنْها, وَإنْ كان هَمُّكَ بالآخِرَة فَزَادَكَ الله هَمًّا بِها .

قال سَيِّد الأوَّلِيْن وَ الآخِرِين محمَّد صلَّى الله عليه و سلَّم : الدُّنْيا دَارُ مَنْ لاَ دَار لَه، ويَجْمَعُهَا مَنْ لاَ عَقْل له, والدُّنْيا عَدُوَّةُ الله وَعَدُوَّةُ أوْلِيَائِه, ولَو سَاوَتْ عِنْدَ الله جَنَاح بَعُوْضَة مَاسَقَى مِنْهَا كَافِرًا شَرْبَةَ مَاءٍ فَكَيْفَ وَأنت مُعْتَكِف عليها نَهارَكَ و ليلَك بِامَغْرُوْر, وقد جَعَلَها الله تَعَالى لِعِبَاده الصَّالحِين خادِمَة لَهم فَقَال مَنْ خَدَمَنَا فَاخْدُمِيْه, ومَن خدَمكَ فاسْتَخْدِمِيْه, فَانْظُر إلى هَذَا الفَرْق العَظِيْم ولَكِن ضَاعَت العُقُوْل فِي شَيْءٍ

فَانٍ, ولَمْ تُخلَق إلاَّ للطَّاعة, وَطَلَبُ الآخِرَة, فَكُنْ كَمَا قِيلَ صُمْ عَنِ الدُّنْيَا واجعل فطرك الآخرة , و قلْتُ في ذلك :

تَــيَقَّظ يامَغْــرُور واترُك حطَــامها فَهِــيَ دَار فَــنَاء لاَ بَقَــا لنَعِيْــمهَا
و طَــالِبهَــا فِي نَبْهِا إنْ يَتْــمها ورافــقني قــلب على تَرْكِ كُلِّها

و قال بَعْضُهم لوْ كَان الدُّنْيَا مِنْ ذَهَبٍ يَفْنَى , وَ الآخِرَة مِن خَزَف يَبْقَى ,لَكان حَقًّا أنْ نَختَار خزفًا يَبقَى عَلَى ذَهَبٍ يَفْنَى، فَكَيْف وَالأَمْر بِالْعَكْس, والدُّنْيا خزَف يَفْنَى, والآخرة ذَهَب يَبْقَى .

فأوْصِيْك يَاأَخِي بِتَركِها وإخلاَء الْقَلْب مِنْها, والبَذْل لَهَا إنْ وَجَدتَها, فإنَّما عَمِيَت البَصَائِر مِن حُبِها ونَعُوْذ بالله مِنْهَا فَإنَّها أَسْحَر مِنْ هَارُوت وَ مَارُوْت وَطَالِبُ الدُّنْيَا فَقِير , وطالِبُ الجَنَّة مِن النَّار أجِير وَطَالِبُ الله عَزِيْز أنْ يُدْرَك فِي زمانِنَا هذا, و إنَّ القلْب كالمِرآة إنْ صَفَّيْتها تَصَقَّلت , و إنْ كَدَّرتَها تَكَدَّرت وعَمِيَت, والإناء إذَا كَانَ خَالِيًا وَوَضَعْتَ فيه شَيْئًا حَفِظَه, وإنْ كان مَلآنا لَيْس يَحْفَظُه شَيْئًا, كذلك مَثَلُ القلْب إذا امتلأَ من حُبِّ الدُّنيا نسي الآخرة الَّتِي هي دار القَرار, ولاَ يجد عنْها فِرَاراً, ومَوَاهِب الله عظيمة, و لكنْ ذلك عَزِيز, فَرِّغ قَلْبَك عن الْكَوْن وأَهْله, تَرَى الله فِيْه ظاهِرًا ليس خَافِيًا, ومَتى كَانَت الأَكْوَان حتى تُحْجِبُك عن الله, وكان الله تَعَالى ولا مكان وهو الآن عَلَىٰ مَا عَلَيْه كَان, اضمحلت الأَكْوَان, إِذَا ذُكر المُكَوِّن غُضَّ بَصَرَك عَن الأَكْوَان تَشْهَد المُكَوِّن فِيها, كان الكَوْن هَبَاءً وَعَدَمًا فَأظْهَرَه الله سبحانه و تعالى لِمُرَاده و حِكْمَته البَالِغَة, الأَرض سَطَحَها والسَّماء رَفَعَها وَ زَيَّنَها بالشَّمْس والقَمَر والنُّجُوم, لِكَيْ يَعْتَبِر الخَلْقُ إلى يوْمِ القيامة, وجَعَلَ المَوْتَ وَاعِظًا والقَبْر إمَّا رَوْضَة مِنْ رِيَاضِ الجَنَّة, أوْ حُفْرَة مِنْ حُفَرِ النَّار – الحديث – ؛ ثُمَّ يُبْعَث المَوْتَى إِلَى الحَشْرِ وَالمُحَاسَبَة نَسْأل الله تعالى المُسَامَحَة في ذلك اليَوْم لَنَا وَلِوَالِدِيْنَا ومَشَائِخِنَا و أَحْبَابِنَا أجْمَعِين, فَقَوْمٌ اختَارَهُمْ لِجَنَّــتِه دار المُقَامَة فَهُمْ فِيْهَا خَالِدُون أَبَدَ الآبَاد وَهُم المُؤْمِنُون بِالله تعالى و رَسُوله صلَّى

الله عليه وسلّم, و قَوْم يُسْحَبُون إلى النّار دَار الخزْي وَ البَوَار نسأل الله السّلامة مِنْها وهُم الكَافرون الجَاحِدُوْن لله تعالى و رسوله, فَكُنْ مُصَدِّقًا وَ مُعْتَقِدًا لذلك من صَمِيْم قَلْبِك, وإلاّ هَلَكْتَ مَع الهَالكيْن , نسأل الله تعالى العَافيَة .

واعلم أيُّها العَبْد أنّ الله تعالى مُطّلِع على سَرَائِرك وخَوَاطِرك من حيث لاَ تَعْلَمُها أَنْتَ مِن نَفْسِك, فكَيْف بِظَوَاهِرِك, وأنّه يَعْلَم حركاتك وسكَنَاتك, فكُنْ أَنْتَ مُعْتَقِدًا لِذَلِك, والْجَاءْ إلى الله تعالى فِي الضَّرَائر ضَرُوْرَة, لأنّه لا نَافِع و لاَ ضَارٌ و لاَمُعْطِي وَلاَ مانِع إِلاّ الله سبحانه وتعالى, فَكَيْف تَخَاف غَيْره وهو لا يَنفَع نَفْسَه, وَ كيف يُمكِن أن يَنفَعَك أو يَضُرّك وهو عَاجزٌ ضَعِيْف ولكِنْ عَمِيَت البَصَائِر, وكَلَّت السَّرَائِر .

و اعْلَمْ أَنَّهُ لَيْس بَيْنَك و بيْن الحَقِّ طَرِيْق طوِيل أو قطْع سَبَاسِب , و لكِنْ اعْرِف نفْسَك فإنّه لا يُمْكِن معرفة الله تعالى إلاّ إنْ عرفْتَ نفسك, وأَنْت ارْجِع إلى التّفكُّر فِي ذلك والتّدبُّر وترْك الشّهْوات عسَى أنْ تعْرِف نفْسَك بعْد ذلك, فتعْرِف ربَّك وفِي الحَدِيْث ((فإنْ لم تَكُن تَرَاه فَإنّه يَرَاك)) و هذا مَقَام الإحْسَان, وكَمَا قِيْل لِبَعْض الصُّوْفِيَّة أَيْن الله فقَال أسحقك الله هَلْ تطّلب مَع الْعَيْن أين, وقُلْت فِي ذلك:

هــو الله ذو الــجلال و العزِّ و البقا   فلــوْلاَه مَا كــانَتْ سمــاء ولا أرض

و كنْ بِرَبِّك أيــُّها العبْد في كلِّ حال وَاثِقًا, ولاَ تَرْجِع إلى نفسك فإنّ الرَّاجِع إلى نفسه دائِم فِي التّعَب و السَّخَط؛ و الرَّاجِع إلى ربِّه دائم في الرَّاحة , لأنّه قدْ تَحَقَّق أنّ مَاجَاءَه مِن نعمة أو بلاء فمِن ربِّه, إذَا عَرَفْت أنّ الله تعالى هُوَ المُبْتَلِي لك رَضِيْتَ بِه, وإِنْ لَم تَرْضَى كَان حَظّك تَعَب النَّفس, فَعَلَيْك بتَرْك الإعْرَاض عن الله تعالى, فإنّه ما سبب الْغَفْلَة إلاّ الإعراض عن الله, اللهم اجْعَلْنَا مُطْمَئِنِّيْن بِك يا كريم, قال بعْض الصُّوفية نَفَع الله بهِمْ: غَفْلة ساعَةً عن الله تعالى أَشَدّ مِن دُخول النَّار, فَكَيْف مَن مَضَى عُمْرُه جميعُه فِي الغفلة, فَاعْرِف هذا الفَرْق العَظِيْم و أَيْن الثُّرَيَّا مِن الثّرى .

جَمَــالُكُم في عــيْن قَــلْبِي قدْ ثوى   فَــلَسْت بِغَــافل عَنْكُم يَاأُوْلِي الْوَفا

أحِـــنُّ إلـــيْكُم كُـــلّمَا هَبّتْ الصَّبَا   و رُوْحِي إِلَيْـــكم لاَ تُفِيْق مِن الجوى *

فَكَيْف تَغْفَل عن الّذِي أخرَجَك مِن العَدَم, فَجَعَلَك في بَطْنِ أُمّك ماشاء الله تعالى ثُمّ أخرجك إلى الأرْض وَرَبّاك صغيرًا, وغَذّاك وجعلك مَوْلُوْدًا في الدِّيْن الْحَنِيْفِي, ذَاكرًا بالْلِسَان فَصِيْح, و جَعَلَ لَكَ عَقْلاً تَعيْش به, وسَمْعًا وبَصَرًا وَوَعَدَكَ بالجنّة ونَعيمها إنْ أطَعْتَه, وأوْعَدَك بالنّار إن عَصَيْتَه, فَاختَرْ أيُّهمَا شِئْت, ولاَ مَنجَا لك مِنْه إلاّ إليه, فأقْبِل إليه طَائِعًا مُشَمِّرًا, واقْصِدْ بَابَه الكريم, ولاَ تَنْظُر إلى غيْرِه فَتهْلِك, وكُنْ مُستَعِزًّا به لأنّه ربُّك , و مُفْتَخِرًا به لأنّك عَبْدُه .

قال سَيِّدنا و مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: كَفَانِي عِزًّا إذْ كُنْت لِي ربًّا, وكفاني فَخرًا إذ كنتُ لك عَبْدًا, أنْتَ كما أُحِبّ, فَوَفّقْنِي لِمَا تُحِبُّ, أنت كما أُرِيد , فوفّقْني كما تُرِيد, مَن استَعَزّ بالله ذلّ له كُلُّ شيءٍ ودَامَ له عِزُّه ومَن استَعَزّ بغَيْرِ الله ذلّ عِنْد كُلِّ أحَد, ودام ذُلُّه, اشْهد الله تعالى في قلبك تَرَى الكوْن أصْغَر مِن ذَرَّة في جَنْب القُدْرَة, فإذا شَهِدْت الله قَبْل الكون مَنحَك التّعْرِيف في الكون كُلِّه .

باب في العبودية

واعْلم أيُّها العبْد المُتّصِف بالعبودية, والإعْتِرَاف بالمَمْلُوكيّة والذُّلّ والإنْكِسَار للمَلِك الجبّار أنّ بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام سَأَلَ ربَّه تَبَارَك وتعالى أيْن أجِدُك, قال تَجِدُنِي عند المُنكَسِرَة قلوبُهم مِنْ أجْلِي وهؤلاء هُم العبيد حقًّا, وأنّ العَاصِي المُفْتَقِر إلى الله أقرب إلى المَغْفِرَة من الطّائع المُستَكْبِر, إلاّ مَنْ شَاءَ الله وأنّ الله سبحانه غَنِيّ عن الطّاعة لاَ تَضُرُّه المعصية, كما جاء في الصحيح ((يا عبادي لَوْ أنّ أوّلَكُم و آخِركم و إنْسُكم و جِنُّكم كانوا على أتْقَى قَلْبِ رجُلٍ واحِدٍ مِنْكم ما زاد ذلك في مُلْكِي شيئًا, يا

عبادي لو أنَّ أوَّلكم وآخركم و إنسكم و جنُكم كانوا على أفجَر قَلْب رجلٍ واحدٍ منكم ما نَقص ذلك من مُلْكِي شيئا, يا عبادي لو أنَّ أوَّلكم و آخركم و إنسكم و جنُكم اجتَمَعُوا على صَعِيدٍ واحد وسَألونِي فأعْطَيْت كلَّ إنسان مَسْألته ما نقص ذلك مِمَّا عندى إلاَّ كما يَنقُص المخيْط إذا أُدْخِل البَحْر)) فكُن عَبْد الله حقًا في كُلِّ أُمُوْرِك .

باب في إشتياق الأرواح و الواردات

اعْلَمْ أيُّها العبد أنَّ الأرْواح مُشْتَاقة إلى الله في كُلِّ وقْت, ولها إلى أوطانها أنِيْن و حَنِيْن ولكِنْ دونها حجب, و مَن أنْفَذ الله بَصِيرته خرق له الحجب, وأمدَّه الله بالأمداد مِن قبله و جعله يتغذى بذِكْرِه, و يَتَنعَّم به و يَرْتَاح شَوْقًا إلى رياض الأُنْس و رِيَاض الجَنَّة, و كلٌّ له مدد على قَدْر حاله, والإمداد على قدْر الإستِعْدَاد, فكن للأمداد مُسْتَعِدًّا لا مُهْمِلاً, وللواردات مُتَأهِّلاً, و الأهْلِيَّة لها بتفْرِيْغ القلب عن كُلِّ شيء سِوَى الله, و عن كل ما تحب و تتوق إليه النَّفْس, والواردات لَيْس لها وقْت مَعْلُوم فكن لها مُتَرَجِّيًا على كُلِّ حال سِيَّمَا في الصَّلاة, وعند الذِكْر, و عند اسْتِمَاع القَوم في الحضرات, و هِي شيء لا يُعَبَّر عنه.

و الحجبُ أصنافٌ مِنْها طَلَبُ الدنيا و طلَب الرِّياسة و طلَب الشَّهوات, و الخَوْض في مالايعني, والحسد و قِلَّة ذِكْر الله و مُجَالَسة أهْل الغفلة و أكْل الشبهة وكلُّ ما يُلْهِيك عن الله تعالى. وذِكْر الله تعالى ينوِّر القلب, والذكر ذِكْران ذِكْر بالقلب وذِكْر باللسان, فأمَّا ذِكْر القَلْب فَهُو أرْفَع مِن ذِكْر اللسان لأنَّ الذَّاكر بالقلْب معه إسم الشيء و ذوقه, لَكِن لاَ يَنْبَغِي أنْ تَتْرُكَه لفَقْد الذَّوْق, لأنّه مِن جُمْلَة الذِّكْر, وقدْ قال الله تعالى (والذاكِرِيْن الله كَثِيْرًا و الذاكِرَات أعَدَّ الله لهم مغْفِرةً وأجْرًا عَظِيْمًا)

و قِيل لِبعْضهم إنَّا نذْكر الله تعالى و لاَ نجِد له أثرًا في القلْب, فقال أحمدْ الله تعالى الَّذى زيَّن جَارحة مِن جَوَارِحِك بِذِكْرِه, و لأنّه دَلِيل على المحبَّة فإنَّ مَنْ أحَبَّ

أحدًا حقيقة أكْثَرَ مِن ذكْره ضرورةً, فإنّ عِزَّ الذّاكِر بِالمذْكور, وذلك عزيز جدًّا, و قلْتُ في ذلك:

فنوا عن جميع الكون طــلاب حسنــــه . يغيبون عن كلِّ السِّوى بـــــوِصَالــه

باب في صفة القلب

اعْلم أنّ القلْب كالبيْت, إنْ حلّ فيه الحالُ عَمَره, وإنْ لم يحِل فيه أحَدٌ خرَب, و الذِّكْر والطّاعة للقلْب عمارة, و الغفْلة و المعْصية للقلْب خراب, و من ازْدَاد ذِكْرُه وطاعته, ازْدادت حياة قلْبه, ومن ازْداد غفْلة وقلّة ذكْر, مَاتَ قلْبه, و الأجْر على قدْر المشقّة, فمَن زاد في ذلك زَادُوه , و مَن قصّر قصّروه, والإسْتِئْنَاس بالله تعالى على قدْر الذِّكْر والطّاعة, والإسْتِيْحَاش عن الله تعالى على قدْر الغفْلة والمعصية, والمُستأنِسُون بالله لم يَسْتَوْحِشُوا مِن شيءِ, لأنّهُم لم يروا إلاّ الله تعالى في كلِّ شيء, ولا يُوحِشُهم شيء, ومَن أطَاع الله أطَاعَهُ كلُّ شيء.

قال بعْض الصُّوفية لِمَن رَأوْ السِّبَاع حَوْله مُتَأدِّبات, وَعَجِبُوا مِن ذلك: لا تَعْجَبُوا !! أنْتم أصْلَحْتُم الظّاهر فَخِفتُم الأسَد, و نَحْن أصْلَحْنا البَاطِن فخَافَنَا الأسَدُ.

قُلْتُ: لأنّهم لاَ يَنْظُرُون إلى شيء إلاّ شَهِدو الله تعالى فيه أو قَبْله أو بَعْدَه, و الله تعالى لايَحلُّ في شيء و لايحلُّ فيه شيء, ولكن ليس شيء خاليًا عنه, فكَيْف تَنْظُر غيْرَ الله تعالى فَوَالله ثُمّ واللهِ غَيْر مُكَلّف باليَمِيْن ولاَ مُفْتَخِر: ماشَهِدْت و لانظَرْت عَيْني شيْئاً إلاّ شهدت الله تعالى فيه أو قبله أو بعده, وبعْض العارفين لم يشْهد غيرَ الله تعالى ألبَتّة, والكوْن كلّه مطية للعارفين يَتَصَرّفُون فيه بإذْنِه تعالى, وهُم الملوك حقًّا .

إختَــرْتُ ذلّ الفقْــر عن عزِّ الْــغِنىَ . إنّ الْــقنَاعَـــة مُرْتَــقَى لاَ يُرْتَــقَى

و قلت أيضا:

نَحْن المــلُوك حَقِــيْقَــةً لاَ غَيْــرُنا . و الله لا ملــك ســوانـــا يُـــوحَدُ

مَا لِلْمُــــلُــوك وِلاَيَـــة غيْر إسْمُها . وبذَلِك افْــتَــخَــرُوا بِه قَدْ عربَدُوا*

و قلت:

و عــزٌّ بـعــزّ الله عــزٌّ حــقــيقةٌ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ و عــزٌّ بغـير الله ذلٌّ حَـقيْـقَـةٌ

غابوا عن الأكوان جملة بمكوّنها, و مَنْ سِوَاهم حَجَبَتْه الأكوان لضُعْف يَقِيْنِه, وقلّة إمداده, والحجاب عن الله تعالى هو العذاب , والمحجوب هو المتعوب*, ولكن العبْد دائما ممدود, فليس له اعتراض على مولاه, فإنْ جعله ذاكرًا مُسْتَيْقظًا يَشْكُر الله, و إنْ جعله غافلاً قليلَ الذِّكْر أو عَاصيًا يستغفر الله, ويَنْدَم, و يلتجيء إليه.

و مَن طلَب الحال مع المعصية فهو كالمُسْتَسْخِر, و مَن طلَبه مع الطَّاعة فهو كالمُتَسَبِّبُ بذلك, ولكِنْ مواهب الله سبحانه و تعالى واردة فى كلِّ وقْتٍ, و فَضْلُه واسع للطائعين والمُذْنِبِيْن.

قال بعضهم: لأنْ أُدْخِلَ النّار وأنا طائع, أحَبّ إليّ مِن أنْ أُدْخِلَ الجنَّة وأنا عَاصٍ, لأنّه ماالمقصود مِن الجنَّة إلاّ رِضَاه ولاَ يَشْتَدُّ عذابُ أهلِ النّار إلاّ بِسخط الله .

اللهم إنّا نسألك رضاك و لِقَاك والجنة , و نعوذ بك من سخطك والنّار, لأنّه لو احْتَجَب عن أهل الجنَّة لم يَجِدُوا لها لذّة و لا نِعْمة, و لو تجلّى لأهل النّار لم يجدوا لها ألَمًا ولا شِدّة و ماالمقصود من الجنّة إلا رضاه ليس الجنّة.

اللهم إنا نسألك رضاك عنا وعن أحبابنا والمسلمين إنّك رؤف رحيم, فالعارفون غضُّوا أبْصارهم عن كلِّ ماسواه, حتّى الجنّة والنّار لأنّ الجنة مخلوقة مُسَخَّرة, و النّار مخلوقة مُسَلَّطَة, فكيف يُرْجى مخلوقٌ, و ما عبدوه إلاّ لاستِحْقَاقِه العبادة, لا لِرَجَاءِ جنَّةٍ و لا خوف من نارٍ , و الله الموفِّق .

إذا كنْــتَ عَلَيَّ راضٍ فلا أُبالي بالجحيم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ عذابي حجابي عنك لو كنت في النعيم

و مَنْ شَهِد الله في الرخاء و الشدّة لم يشتقْ إلى الرَّخاء, و لم يَتَمَلْمَل مِن الشدّة,
وفي الحديث: تَعَرَّف إلى الله في الرخاء يَعْرِفك في الشِّدَّة فكن مُتَعَرِّفًا لربّك ملتجئ إليه ضرورة مِن غير التكلف .

إذا اشتدّت الأيامُ وارتحل الرَّخا — أتيتُك يا من هو رخائي و شِدَّتي
فأنت الذى في القلب رسىّ خيامه — وَنَحّى حجاب البُعد و أجزل عطيتي
إذا كُنْت لي حالَ الشَّدائد حاضرًا — و فارج أحزاني و مذهب كُرْبَتي
رَجَوتُك يا مولاي في كلِّ ساعةٍ — هو الله مَولى الكَون باري البريَّة
فكُنْ واثقًا بالله فِي كلِّ لحظةٍ — و كُنْ رَاجِيًا فِي رَحْمَةِ الله عَامة

و الرَّجاء قِسْمَين: الأوّل رجَاءُ الطَّائِعِين وهُوَ رَجَاء حَقِيْقِي, و الثَّانِي رَجَاءُ العَاصِيْن وذَلِك رَجَاء تَمَنٍّ, ولكن مَنْ رجا الله تعالى وأَحْسَن الظَّنَّ به لاَ يَخِيْب طَائعًا أو عَاصِيًا وكلُّ مُسْلم شَرِيْك فِي الرَّحْمَة المَرْجُوَّة .

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنَّ الله تعالى خلَق مائةَ رحمة , فجعل منها رَحْمَةً وَاحِدَةً فِي الدُّنيا, بَيْن الوالدة وولَدِها, وبَيْن البَهَائِم, فَبِهَا يَتَعَاطَفُوْن, وبها يَتَرَاحَمُون , وادَّخَر عِنْدَه تِسْعًا وتِسْعِين رحمةً.

و قال الله تعالى: (ما يَفْعَل الله بِعَذَابِكُم إِنْ شَكَرْتُم وآمَنْتُم)

و قال الله تعالى: (إِنَّ ربَّك وَاسِعُ المَغْفِرَة)

وأعلَم أنَّ رَجُلَيْن عَبَدَا لله تعالى, أحدُهما على الخَوْف, والآخَر عَلى الرَّجاء, فكان صَاحِبُ الرَّجَا أَرْفَع .

قيل لبَعْضِهم في المَنَام, ما فَعَلَ اللهُ بِك, قَال نَجَانِي بِحُسْنِ ظَنِّي بِرَبِّي, اللّهمّ حسِّن ظنونَنا بكَ يا كريم .

وأَعْلَم أيُّها العبْد أنَّك عَزِيْز بِرَبِّك ذَلِيْل بِنَفْسك, وَإذا كَانَ العَبْد يَرَى أنّه خيرٌ مِن رَجُل مِن المسلمين, فهو المتكبِّر حقًّا, وهل يمكن التكبُّر للعبْد الفقير الحقير الضعيف

الذليل, الّذي لا يَملِك لنفسه نفعًا ولا يدْفَع عن نفْسه ضرًّا , بل يضرّ نَفْسَه, فكيف يَنْفَعُهَا.

وأَعْلَم أنّ العَبْد لا يَتَكَبَّر إلاّ بثلاثة أشيَاء :

أَحَدُها؛ إذا استَغْنَى بنفْسِه عن ربِّه، نسْأَل الله تعالى السَّلامة مِن ذلك.

الثاني؛ إذا كان غافلاً مُنْهَمِكًا في غَفْلَتِه

الثالث؛ إذا نسي عدمه وتلاشيه في عظَمَة الله تعالى, و قلْتُ في ذلك:

كيـــف التـــكبر لعبـــد أصْلُه عدمًا ... المـــوْت طَـــالِبُهُ و القَبْر له سكـــنًا

لـــوْ كَان عُمْرك عمْر النسر ما أغنى ... بـــساعةٍ فِي لَحَـيْدِك خايفًا حزنًا

أهـــل التكـــبُّر يـــوم الحشْر في سَقَر ... و أهـــلُ التواضع في عزٍّ و في أمنًا

و اعلم أيُّها العبد أنّ التكبُّر لا يليق بك بحال, لأنّ أوَّلك عدم, و آخرك إلى العدم, إلاّ أنّ ربَّك سبحانه و تعالى يمدُّك بإمداده, وأنَّك إذا رجعْتَ إلى نفسك عرفت أنّك عدم محض, وإنْ رجعت إلى ربِّك عرفت أنَّك موجود بوجودِه .و ما في الوجود إلاّ الموجود سبحانه, وإذا عرفت ذلك و تحقّقْتَهُ استحقرْتَ نفْسَك, وتحقّقْت فقْرك إلى ربِّك في كلِّ وقْت, فعنْد ذلك تلتجيء إليه ضرورةً بغير تكلُّف و لا تسبُّب, فتعرِفه في النعمة وفي الشدّة, ومَن عرف ربَّه في الشدّة لم يبق إلاّ في النِعمة, و من عرفه فَقَدْ انتهى إلى ذلك.

و اعْلَم أيُّها العبد أنّ مَن نسي نفسه في الوجود, لم يشهد إلاّ الموجود سبحانه و تعالى إذ لا موجود في الحقيقة إلاّ الله, و كلُّ ما سواه فهو عدم إلاّ بموجِده.

و مِن أهل الحقيقة, مَن فَنِيَ بالموجود عن الوجود, لأنّه كلّما رأى شيئًا رأى الله سبحانه و تعالى قبْله لأنّه سبحانه وتعالى كان ولا مكان , و هو الآن على ما عليه كان, و هذا عبد كامل, و هو مع ذلك موجود مع الخلق بِجسْمَانيَّته, فَانٍ عنهم بخصوصيَّته, فهو غائب حاضر, ودون ذلك أنْ يرى الكون و يرى الله فيه, فيَزْدَاد تَرَقِّيًا, و دون ذلك

أنْ لايشْهَد إلاّ الكون, فيبقى معه تعبًا بقِلّة التَّرقِي, وقِلّة الرِّضا بالقضاء والقدر, و مَنْ لم يَرْضَ بقَضَاءِ الله فقَدْ تَعَرَّض لمقْتِ الله, نسأل الله السَّلامة مِن ذلك, اللهم رضِّنَا بقَضَائِك, وصبِّرنا على بلائك, وأوْزِعْنا شُكْر نعمائك, و ارْزُقْنا بَرْد عَفْوِك, و حلاوة مُنَاجتك, و الرَّاضي بِقضاء الله وقَدَرِه دائمًا مسْرُور فَرْحَان, و الكَارِه لِقَضَاءِ الله وقَدَرِه دائمًا مَهْمُوم مَحْزُون, اللّهمَّ إنَّا نعوذ بك مِن الهمِّ والحزن, و نعوذ بك مِن العجْز و الكسْل, ونعوذ بك مِن الجُبْن والبخْل, و نعوذ بك مِن غلَبَة الدَّين وقهْر الرجال, اللّهمَّ اجْعَلْنا لاَ نرجو ولا نخاف و لا نحِبُّ سِواك, واجعلنا خائفين مِن عذابك, وواقفين على بابك, لا نزال مُستَبْشِرِين فَرِحِيْن مُطْمَئِنِّيْن, و غذّ أرواحَنا في رياضِ أُنسِك وأشْهِدْنا جمالَك و جلالك, وأرِح قُلُوبَنا مِن تَدْبِيْر الرِّزْق بِتَدْبِيْرك لنا يا كريم, و أَحْيِنا و أَمِتْنا على سنَّة حبيبك و صفيِّك و رسولك و خاتم النبيين, و صفْوة العالمين, محمد سيِّد الأوَّلين, و الآخِرين, و قَائِد الغرِّ المُحَجَّلِيْن, صلَّى الله عليه و على آله وصحبه و سلَّم أجمعين, و سلِّم تسليمًا كثيرًا و الحمد لله ربِّ العالمين, اللّهمَّ اجعلنا متابعين لِسُنَّته في القَوْل و الفِعْل, و اجعلنا مُستَشْفِعين به إليك يا ذا الجلال و الإكرام, حتىَّ تَرْضَى علينا رضًا لا سخَط بَعْدَه أبداً, وارزقْنا محبَّته و محبَّة أصحابه, وأهْل بيته أجمعين, (إنَّ الله و ملائكتَه يُصلُّون على النَّبِي , يا أيُّها الَّذين آمنوا صلُّوا عليه و سلِّموا تسليمًا)

و اعْلَم أنَّ هذا الدار, محلٌّ للأكْدار, و الرَّاحة نادِرة , لا تُدرِكه إلاَّ أهل الذَّوق والصَّفاء والأسْرار, الَّذين يُشاهِدُون جمالَ الله فِي كلِّ شيء, قال سيِّدُ المرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ((الدُّنيا سِجن المؤمن و جنَّة الكافر)) و هذا الحديث يُطلَق على كُلِّ مؤمن, ولكن من رفع فوق درجة الإيمان وجد الذَّوق و الرَّاحة, و الإسلام أعْظَم نعمة فكيف بالإيمان, ومقام الإيمان و اليقين مقام عظيم.

و قوله صلى الله عليه وسلم سِجْن المؤمن بعنِي مِن ثلاثة أوجة :

أحدها؛ أنَّ فيها التَّعب و الضِّيق بحيْث لا تُوجد فيها الرَّاحة .

الثاني؛ أنّ ملوك الدُّنيا إذا غضبوا على أحدٍ لم يعاقبوه إلا بالسِّجْن, فكيف تليق الراحة في السِّجْن .

الثالث؛ أنّ الدُّنيا جميعَها لا تسَع شيئا مِن عطايا الله لعبده المؤمن فيها, فسمَّاها سِجنًا لضِيْقِها عليه , و سُرْعَة زَوَالِها والأكدار والهموم و الأحزان لا تستغرب فيها, لأنّها جُبِلَت على الأكدار طَبْعًا, فهي مُستَحِقّة لذلك الوصْف, و إنْ لاح لك فيها شيء مِن الذَّوْق والصَّفا فاسْتَغْنِمْه, فإنّه لاَ يُعَدُّ مِن الدُّنيا, وذلك قليل في هَذَا الزَّمان, طمست البصائر, وكشفت الحجابات, وقلّت الإمدادت, واسْتَدَامَت الغَفْلَة مِن الرُّكُون إلى غير الله والمحبة للدُّنيا والرُّجوع لغير الله, فكلُّ مَن أحبَّ شيئًا سوى الله والدَّار الآخِرة فَهُوَ عَبْده بِسَبَبِ الحجاب, والله تعالى يَكْرَهُ أنْ يكون عبدُه عبدًا لغيرِه, فاجْعل محبَّتك خالصةً لله تعالى ورسولِه اللّهمَّ أيقِظْنَا مِنْ غَفْلَتِنا, و نوِّر بصائرَنا, و أعْدم حجُبَنا, حتَّى لا نخاف ولا نرجو ولا نحبّ غيرَك, واجعلنا مطْمَئِنِّين بِذِكْرِك, مُسْتَلِذِّيْن به فوْق كلِّ لذّة, و اجعلنا شاكرين نِعْمَتَك, خائفين نِقْمَتَك, وكنْ بِنا حَفِيًّا ولا تكن بنا مُسِيْئًا, واجعل قلوبَنا خَالِيَةً عمَّن سواك , مُتَأهِّلَةً لأمْدادك, ووَارِدَاتِك وروِّحْنا مِن أكدار هذه الدار, فإنَّها مجبولةٌ على ذلك, لا تُوْجد فيها راحةٌ لك أيُّها العبد مِن ثلاثة أوجه:

الأول؛ أنّك غرضُ المصائب و البلاء

الثاني؛ أنّك لا ترى فيها بقاء حتَّ تَطْمَئِنَّ بها, و مَلَكُ الموْت مُطَالِبُك, ولا تعلم وقتَه مَتَى يَهْجُم عليك بِغَيْر اخْتِيَارِك فكيف تليق الرَّاحة لِمَن هذه حالته.

الثالث؛ أنّك على خَطَر الخَاتِمة, نسأل الله حسْنَ الخاتمة, و من كان لا يدرى بماذا يُخْتَم له عنْد الموت, كيْف تليق له الرَّاحة .

و دارٌ بها كـــلُّ الهمـــومِ توالت	فاسْـــتَغْنِم التّسليم وارْض المُصِيْبَة

فـــرَاضٍ بِأقْدار فراحــــته تجلّت	و ســـاخط أقدار فَخَصــــتْه نقمة

اللّهمَّ روِّحْنا مِن الأحْزان ما دُمْنا فِي هذه الدَّار, بالرِّضى و التَّسليم لقضائك, حتَّى لا نَزَال مُستَبْشِرِيْن, فَرِحِيْن مستَأْنِسين بك يا كريم يا رحيم, اللّهمَّ إنِي أسألك أنْ تُبشِرَنِي بِبِشَارات مَنْ أحْبَبْته مِن عِبَادك الصَّالحين, اللّهمَّ يسِّرْ لنا أمورَنا واغْفِرْلنا ذُنُوبَنَا, واجْــبُرْنا وارْفَــعْنــا, و اهْدِنَا وعافِنا واعْف عنَّا, وانْظُرْ إِلَيْنــا وأنت رَاضٍ عنَّا, و اغفر لنا ما قدّمنا إنك غفّار الذنوب, و ستّار العيوب.

باب في اتّباع الكتاب و السنة

عليك يا أخي وفّقنا الله وإيَّاك توفيق الصَّالحين, باتّباع الكتاب والسُّنَّة ظاهرًا وباطناً ,قال سيِّد الأوَّلين و الآخرين محمد صلى الله عليه و سلم ((لا يُؤْمن أحدكم حتى يكون هواه تَبَعًا لما جِئْتُ به))

و اعْلم أنَّ المحافظة على السُّنَّة هي أصلُ النَّجاة، والتَّهاون بها أصلُ الخسْران, والعبد لا ينال حقيقةَ الإيمان إلاَّ بالمحافظة على السُّنَّة, اللّهمَّ أحْيِنَا على سنَّة سيِّدنا و شفيعنا محمد صلى الله عليه وسلّم, و توفَّنا على مِلَّته, واحْشُرْنا في زُمْرَتِه, وارْزُقْنا محبَّته ومحبَّة أهْل بَيْتِه أجمعين برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

و عليك بِحُسْن الظَّنِّ بجميع المسلمين, وهم مَنْ قال لا إله إلاّ الله محمَّد رسول الله صلى الله عليه و سلّم

عليك بحســن الظَّنِّ في الخلْق يا فَتى ... فأســرار ربِّك سارية فِي الخــلائقِ
هوالغافر القابل لِمَنْ تاب والْتَــجَا ... إليه هــو الله المــزِيْل العَــوَائــقِ

والأمور كلُّها لله فكيف الإعْتِرَاض على الله تعالى قال الله تعالى ((و لو شاء ربُّك لآمن مَنْ فِي الأرض كلُّهم جميعًا)) ((و لو شاء لَهَدَى النَّاس جَمِيْعًا)) وبالحقيقة إنَّك لا تَهْدِي نَفْسَك فَكَيْف تَهْدِي غَيْرَك وعليك بحفظ لسانك مِن الغيبة والنَّميمة.

قال الله تعالى : ((و لا تَجَسَّسُوا ولا يَغْتَب بَعْضُكم بَعْضًا)) وإنْ وَقَفْتَ على عيبِ واحدٍ مِن المسلمين فاسْـتُره, فإنَّ الله تعالى هو السَّتّـار, و غضِّ طرْفَك عَن مَحَارِم الله واعْلَم أنَّ النِّساء حُبَالَةُ الشَّيْطَان.

قال عليه الصلاة و السلام ماخلقت فتنة أشرّ على أمَّتي مِن النِّساء وقال سبحانه وتعالى ((قُلْ للمؤمنين يَغُضُّوا مِن أبْصارِهم ويحفظوا فروجَهم ذلك أزْكَى لَهم))

و اجْتَهِد في أكْل الحلال تَظْهر مِنْهُ الحكمة وصفاء القلب, وأكْل الشُّبْهة يزيد في قساوة القلب.

و عليك بِمُجَالَسَةِ الصَّالحين, فإنَّ الجليس الصَّالح كبائِع المسْك لايسري إليك منه إلاَّ الرَّائحة الطَّيِّبَة, والجَلِيْس السُّوء كنافخ الكير لا يُلْحِقُك مِنْه إلاَّ الشّرار والنَّار, وجلْسَةٌ بَـيْنَ يَدَيْ وَلِي لله كحَلْبِ شاة أوكَشَجِّ بَيْضَةِ أفْضَل مِن عبادة سبعين سنة أو أنْ تَقْطَع أعْضَاؤَك إرْباً إرْباً حيًّا أو مَيْتاً فاعْرِف هذه المِنَّة العظيمة, و هي ساعة واحدة فَضَلَت سبعين سنة صيامها و قيامها اللّهمَّ ارْزُقْنا مُجَالستَهم و محبَّتهم وحسْن الظَّنِّ بهم و التَّسْليم لَهُم.

قال معروف الكرخى رضي الله عنه: أقلُّ خَصْلة عنْد ذِكْرهم تنَـزُّل الرَّحمة، فَعَسى عليك تَنْزِل الرَّحمة, (ألا بذكْر الله تَطْمَئِنُّ القلوب) وعليك باحْتِرام أولياءِ الله خاصةً و لكِن لايَعْرِف الولي إلاَّ الولي.

قال الله تعالى: مَنْ عَادَ لي ولِياً فقد اذَنْـتُه بالحرب، فاعْرِف قدرهم و جلالتهم عند الله تعالى.

باب قيام الليل

قال الله تعالى خطَاباً لنبيِّه محمَّد صلى الله عليه وسلم:((ياأيـُّها المزَّمِّل قُم الليل إلاَّ قليلاً نِصْفَه أو انْـقُصْ منه قليلاً أو زِدْ عليه ورتِّل القرآنَ ترتيلاً))

قال بعضهم: مُنْذُ أرْبَعِيْن سنةً ماغمَّني شيء إلاّ طلوع الفجْر, وقال بعضهم لولاَ قِيامُ الليل ماأحْبَبْت الحياة ساعةً، فهؤلاء نفعنا الله بهم وجدوا فيه لذّةً لا تَكْفِيْها العقول لأنّهم خلَوْا بمولاهم في جنح الليل المُظْلِم, مع رُقْدة الغافلين, و ناجوه في سجودهم, و أسيلت دموعهم, و لاحت لهم الأنْوَار ورفع لهم الحجاب, فظهرت بمحاتهم (سِيْمَاهُم في وجوههم مِن أثَر السُّجود) أولئك هم المؤمنين حقًا لهم درجات عند ربّهم ومغفرة و رِزْقٌ كريم.

باب في ترك تدبير الرزق

قال الله تعالى:((وَمامِن دابَّةٍ في الأرْض إلاّ على الله رِزْقُها)) فهذا دليلٌ على أنّ اللهَ قَدْ ضَمِنَ لكلِّ مَنْ في الوجود الرِّزْقَ مِن قَبْلِ أنْ يخلق الوجود , فتدبيرك للرِّزْق أعتراضٌ و تكذيبٌ، فلو تحقّقت الآية أرحت قلبك و قالبك مِن التَّدبير, فكيف تُدَبِّر شيئاً وتجتهد فيه, وقد ضُمِن لك قبْل وجودِك.

قال عليه الصلاة والسلام: لو توكّلتُـمْ على الله حقَّ توكُّله لرَزَقَكُم كما يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وتَرُوْح بِطَاناً، واعْلم أيُّها العبْد أنّ تَدْبِيْرَك في الرِّزْق يُعْمِي البصيرة ويزيد في قساوة القلب مع أنّ الرِّزْق قد ضَمِنَـــهُ لك اللهُ، فَطَلَبُكَ له اعْتِرَاض وجُحُود نعوذ بالله مِن ذلك.

بِرِزْقِك يا مِسْـــكين ربُّك قد ضَمِن	فَكُـــنْ وَاثِــقاً به مُطْـمَئِنّــاً مُحَقّق
تَرَى الطَّير ذِي تَغْدُو خِمَاصًا و تَرْجِع	بطَـــاناً و أنْـــت أيضًا بذاك مُصَدِّق
وَ قَــد قدَّر الأرْزَاق مِن قــبْل خَلْقِنَا	فَــدَ عْ عــنْك هَمَّ الرِّزْق فالله رَازِق
فــقلــبي لا يــسكُن لغَــير آلهــه	ورزْقِي مَيْـسُــوْر ولا خاف طارق
فَلا يــنْبَــغي تَهْــتَمّ بالرِّزْق يا فتى	وكُـــنْ راجــياً أبداً بربِّك واثق
و قُــم في الدُّجى واتْلُ القُرْآن مُرَتِّلاً	و خَـــرِّ دموع العين في الخدّ دافق
واطْلُـــبْهُ غــفْرَانَ الذُّنُوب جميعها	وَ سَكَـــنَا بِدارِ الخُــلْدِ مع كلِّ مُتَّقى

مع الحـُـوْر والوِلْدَان في جنّة الرضى و قـــدْ طَالَ منّي نحو ذاك تشوقى
حتّ لــنا أن نــترك النوم في الدُّجى لنــيل المَعَــالي والحســان الفوائق
و تــمَّت بحمد الله و أزكَى صَلاته على المُصْطَفَى نُور الشُّمُوسِ الشَّوارق
و أمَّــتُه تعْـلُو على كــلِّ أمــَّـةٍ عـــليه سلامُ الله مــا لاَحَ بَارِق

واعْلَمْ أنَّ الدُّنيا مَزْرَعة الآخرة فاعْزِم واجْتهد ليوم التَّغابن, يَوْم لا ينْفَع مالٌ و لاَ بنون إلاَّ مَن أتى الله بقَلْبٍ سليمٍ وأُزْلِفَت الجنَّة للمتَّقِين وبُرِّزَت الجحيمُ للغاوين, نسأل الله السَّلامة ونعوذ به مِن الخُذْلاَن والنَّدامة، فاستَغْنِم الطَّاعة مع رُقْدَة الغافلين, واتْرُك مُنَاظَرَة البطَّالين, الَّذين هُم في خَوْضٍ يلعبون, وعلى حُظُوظِهم عاكفون, الَّذين يحبُّون العاجلة ويَذَرُون الآخِرة, ونَاظِر العارفين والصالحين الَّذين يشاهدون الله تعالى في كلِّ شيءٍ, ورحمته واردةٌ عليهم في كلِّ وقْتٍ و حيْن:
حَبِيْبٌ خَــفِيَ عَنْ كُلِّ عَيْنٍ لنــَاظِرٍ و تَنْــظُرُه أربابُ الــتُّقَى بالبَصَــائِرِ

آلهي كيف لاتُطَاع وأنت الَّذى اختَرَعْتَ كُلَّ شيءٍ مِن العدم, أم كيف تُعْصَى وأنْتَ القائم بِكُلِّ شيءٍ، فلولاك ما عُرِف شيءٌ, ولا كان شيء أنت الأوَّل والآخر, والظاهر والباطن، المُعْطِي المانع المعزُّ المُذِلُّ، اللّهمَّ أعِزنا بطاعتك ولاتُذِلَّنا بمعصيتك فإنَّ العزَّ في الطَّاعة والذُّلَّ في المعصية.

و قد آنَ لنا أنْ نَختِمَ الكتاب بالدعاء, اللّهمَّ احفظنا واحْرُسْنا بِعَيْنِك الَّتِي لاتنام واكْنُفْنَا بِرُكْنِك الَّذي لايُضَام, اللّهمَّ أيِّدنا بمعرفتك وأذقنا محبَّتك واحشُرْنا مع أنبيائك بجودك و كرمك يا أرحم الراحمين, اللّهمَّ اجعلنا بك مُسْتَأْنِسِيْن و مِن سواك مُسْتَوْحِشِيْن, وببابك واقفين و في رحمتك طامعين, اللّهمَّ أسْبِل علينا بُرد عافيتك, وحلاوة مُنَاجتك واجعلنا مِن أهْل حضرتك, اللّهمَّ اجعلنا مُتَمَسِّكِيْن بسنَّة نبيِّك و

صفيّك و حبيبك سيّد الأوّلين و الآخرين محمّد صلى الله عليه وسلّم برحمتك ياأرحم الراحمين والحمد لله ربّ العالمين (إنّ اللهَ وملائكته يُصَلُّون على النّبي ياأيــُّها الّذين آمَنـــُوا صلُّوا عليه وسلِّمُوا تَسْلِيْماً)

تمــّت بخير و الحمد لله ربِّ العالمين

وَ يَلِيْهاَ:

الورد الكبير

لسيدنا الشيخ أبي بكر بن سالم